الحث على المسارعة في الخيرات

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، خلق الله الخلق ليعبدوه وليوقروه، وليتقربوا إليه بالأعمال الصالحة لينالوا رضاه، فالأعمال الصالحة والسعي إليها سبب لرضا الله جَلَّ جَلَالُهُ، كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه:٨٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "**أَيْ: لِتَزْدَادَ عَنِّي رِضًا**"[١]، وأثنى سبحانه على المسارعين فيها، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]، ﴿ يُسَارِعُونَ ﴾: فالمسارعة في فعل الخيرات هي دأب هؤلاء الأنبياء، فكانتْ هذه المسارعة سببًا في إكرام الله لهم، وقال جَلَّ جَلَالُهُ أيضاً عن المسارعين في الخيرات: ﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١].

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣٠٩).

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغرفات.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَيُسَارِعُونَ عَلَى مَعْنَى يُسَابِقُونَ مَنْ سَابَقَهُمْ إِلَيْهَا، فَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ. قَالَ الزَّجَّاجُ: يُسَارِعُونَ أَبْلَغُ مِنْ يُسْرِعُونَ. (وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ) أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ: أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَ إِلَى أَوْقَاتِهَا**"(١).

فالصحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ امتثلوا لتوجيهاتِ النبيّ الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسارَعوا في الخيراتِ، وبادَروا بالأعمالِ الصالحةِ ليلاً ونهارًا، فهذا أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الرجلُ الذي ما وَجَد طريقًا علِم أنَّ فيها خيرًا وأجرًا إلاَّ وأسرع إليه، حينما وجَّهَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابِه بعضَ الأسئلةِ عن أفعالِ الخيرِ اليوميَّة، كان أبو بكرٍ الصديق هو المجيب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ" (٣). لم يكمل التمرات التي كانت بيده من شوقه للجنة.

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة:٢٤٥]، - أي: يَـرُدُّه إليـه أضـعافًا- قـال للرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: "وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟" قَالَ: «**نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ**»، قَالَ: "أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ"، قَالَ: فَتَنَاوَلَ يَدَهُ، قَالَ: "فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي"، قَالَ: وَحَائِطُهُ فِيهَا سِتَّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا أَبُو الدَّحْدَاحِ فَنَادَاهَا: "يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ"، فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ،

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/١٣٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٠٢٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٠٤٦) واللفظ له، ومسلم في صحيحه برقم (١٨٩٩).

فَقَالَ: "اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي"[1]. أي: اخْرُجي مِن البُستانِ؛ فقد أعْطَيْتُه للهِ قرْضًا حسَنًا وتصدَّقْتُ به للهِ.

والمرادُ بالحائط: البُستان الذي فيه شجرٌ أو نَخْلٌ، لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ**» **قَالَهَا مِرَارًا**.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الْعِذْقُ هُنَا بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَهُوَ الْغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ**"[2].

وأبو طلحة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، قَالَ: وَكَانَتْ حَدِيقَةً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَسْتَظِلُّ بِهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، فَهِيَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، أَرْجُو بِرَّهُ وَذُخْرَهُ، فَضَعْهَا أَيْ رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَخْ يَا أَبَا طَلْحَةَ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فَاجْعَلْهُ فِي الْأَقْرَبِينَ**»، فَتَصَدَّقَ بِهِ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى ذَوِي رَحِمِهِ[3].

بستان أبو طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - بَيْرُحَاءَ - وكانَ أحَبُّ أمْوَالِهِ إِلَيْهِ، بالإضافة كانت أمام مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، أي موقع مميز، أمام الحرم المكي، وكان فيه ماء عذب، وكان رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يدخُلُها ويشرَبُ من ماءها، ومع ذلك لما سمع الآية لم يتردد في بذلها لله فيما عند الله.

فالمسارعةُ المسارعة، والمبادرةُ المبادرةُ، إن المسارعة في الخيراتِ والمسابقةُ إلى الأعمالِ الصَّالحةِ في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ فيها امتثال لأمرِ الخالقِ عَزَّ وَجَلَّ إذ يقولُ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ويقولُ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد:٢١]، والمعنى: بادروا يا أيها المؤمنونَ إلى عملِ الصالحاتِ، وتنافسوا في تقديمِ الخيراتِ، ولا تُضيّعوا الأوقاتَ في غير فائدةٍ، ولا تُؤثِروا الحياةَ العاجلةَ على الآجلةِ، ولا تَرْكَنوا إلى الحياةِ الفانيةِ، وتتركوا الباقيةَ؛ ويذكر الله عباده بأن الآخرةَ خيرٌ وأبقى، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى:١٦].

---

(١) شعب الإيمان برقم (٣١٧٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/٣٣).

(٣) متفق عليه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أَيْ: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دنيَّة فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةَ شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُكُ الِاهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ؟!. "[١].

فضل المسارعة في الخيرات:

لا شك أن المسارعة إلى الخيرات فيها العديد من الثمرات ومنها:

- **المسارعة في الخيرات سبب لإجابة الدعوات**: فقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إجابته دعاءَ أنبيائه إبراهيم ولوط ونوح وأيوب ويونس وزكريا عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأن مسارعتَهم في الخير أولُ أسباب تلك الإجابة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

- **المسارعة في الخيرات سبب في تفاوت الأجر والثواب فيما بين الناس**: كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد:١٠]، ويقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ، لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٨٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨٨١).

(٣) متفق عليه.

- **المسارعة تقود إلى رتبة الصالحين** : يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن مؤمني أهل الكتاب: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

- **المسارعة في الخيرات فيها اغتنام الأوقات فيما ينفع العامل في الدنيا والآخرة:** فالنفس إن لم تُشغل بالخير شُغلت بالشر، وحياة الإنسان غنيمة، وهي حياة واحدة لن تتكرر له، لذلك أمرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ باغتنامها، ولهذا قال الناصح الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وغناك قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١).

(اغْتَنِمْ) : انتهز، بادر إليها، اظفر بها لأن دوام الحال من المحال، فالأنفاس معدودة والعمر قصير.

فاستَجِيبوا لهذا التوجيه النبوي الذي تضمن هذه الوصايا العظيمةُ، واجتنِبوا إضاعة الوقت؛ فوالله إنَّ إضاعة الوقت أشد من الموت، والمسارعة ضدها التأخر، والتأخر أو التواني فيما يتعلق بالدنيا مطلوب ومحمود، بينما فيما يتعلق في الآخرة فمذموم وغير محمود، فأصحاب الآخرة الذين يريدون الجنة يحرصون كل الحرص على عمارة أوقاتهم في الطاعات والمسابقة إليها، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**»(٢).

قيل أن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو أحد من السلف قال: "اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً"(٣).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: **"هذا القول المشهور، لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو من الأحاديث الموضوعة، ثم إن معناه ليس هو المتبادر إلى أذهان كثير من الناس من العناية بأمور الدنيا، والتهاون بأمور الآخرة، بل معناه على العكس، وهو المبادرة والمسارعة في إنجاز أعمال الآخرة، والتباطؤ في إنجاز أمور الدنيا؛ لأن قوله: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً) يعني أن**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٨١٠)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٣) قال الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦٣/١): "لا أصل له مرفوعاً، وإن اشتهر على الألسنة في الأزمنة المتأخرة". وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (٢٦٩/٣) : "ليس بحديث مرفوع عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ".

الشيء الذي لا ينقضي اليوم ينقضي غداً، والذي لا ينقضي غداً ينقضي بعد غدٍ، فاعمل بتمهل وعدم تسرع، لو فات اليوم فما يفوت اليوم يأتي غداً، وهكذا. وأما الآخرة: فاعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، أي: بادر بالعمل، ولا تتهاون، وقدّر كأنك تموت غداً، بل أقول: قدّر كأنك تموت قبل غد؛ لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت"[(١)].

فالسابقون هم المبادِرون إلى فعْل الخيرات في الدنيا، وهم في الآخِرة سبقوا إلى الدرجات العالية من الجنة.

وما أرحمه على أمته، يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منبهاً ومذكراً إياهم: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ**»[(٢)]، الأعمال الصالحة تنفع المؤمن، إذاً ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها كما وصاه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، احرصوا على ما ينفعكم واستعينوا بالله، ولولا إعانة الله لما تمكن الإنسان من القيام بها، إن الحرص على ما ينفع العبد سبب لفلاحه وسعادته في دُنياه وأُخراه، كما أن الاستعانةُ بالله سبب لتوفيق الله له ولقبول أعماله.

«**وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ**»، إن المرء إذا استعان بالله فلن يعجز بإذن الله، فمن فعل ما أمر به من التزود من الطاعات؛ فاستعان بالله على تلك الطاعات، كان مطيعاً لله.

«**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»: لو أنه قيل لأحدهم أنه يوجد لك أرض أو عمارة قد ورثتها من أحد أقاربك، ولكن لا نعلم أين هي، هل يحرص الإنسان على البحث عنها وهل سيسعى سعياً مستميتاً ليجدها؟ ربما يجوب الأرض من مشارقها إلى مغاربها بحثاً عنها لأنه تنفعه! والحقيقة ان الإنسان أن يسعى إلى ما ينفعه في آخرته من باب أولى، كلُّ إنسانٍ عليه أن يحرص ويَسعى بنفسِه إلى طاعةِ اللهِ، فيكونُ مُنقِذًا لها منَ النّار، يقول أحرص الخلق بالخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[(٣)]، فاشتروا أنفسكم اليوم، فالإنسان إما في تَقَدُّم وإما في تأَخُّر، إما في صُعُودٍ وإما في نزول، طرق الخير أمامه وطرق الشر كذلك وهو في الخيار، يقول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، بين الله تعالى للإنسان طريقان: "طريق الشر يعني: الشرك

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

والمعاصي ونهاهم عن ذلك، وبين لهم طريق الخير...التوحيد والطاعات ودعاهم إليه على أيدي الرسل وفي الكتب المنزلة من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وغيرها"[١].

العاقل هو الذي يقود نفسه لما فيه فوزها ونجاتها وفلاحها، ويسعى في طاعة ربه بفعل الخيرات وترك المنكرات، فمن كان هذا حاله فقد أفلح في الدنيا والآخرة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٧-١٠].

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ فَأَصْلَحَهَا وَحَمَلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، "وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" أَهْلَكَهَا وَأَضَلَّهَا وَحَمَلَهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ"**[٢].

من فرائد القرآن أن الآيات التي تخص الآخرة فيها صيغة المسارعة والمسابقة والتنافس، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦].

كيف للمسلم أو المسلمة يسمعون هذه الآيات وما اشتملت عليه من الحث على المسارعة والمسابقة في فعل الخيرات ويتوانوا عنها؟!

جاء في التفسير الميسر: **"إنَّ أَهلَ الصِّدقِ والطَّاعةِ لَفِي الجَنَّةِ يَتَنَعَّمونَ، على الأَسِرَّةِ يَنظُرونَ إلى ربِّهِم، وإلى مَا أَعَدَّ لَهم مِنْ خَيْرَاتٍ، تَرَى فِي وُجوهِهِم بَهجَةَ النَّعِيْمِ، يُسْقَونَ مِنْ خَمْرٍ صَافيَةٍ مُحْكَمٌ إِنَاؤهَا، آخِرَهُ رائِحَةُ مِسْكٍ، وفِي ذَلكَ النَّعيمِ المُقِيمِ فَلْيَتَسَابَقِ المُتَسَابِقُونَ، وَهَذا الشَّرابُ**

---

(١) ابن باز رحمه الله، https://cutt.us/4Qg79

(٢) تفسير البغوي (٨/٤٣٩).

مَزَاجُهُ وخَلطُهُ مِنْ عَيْنٍ فِي الجَنَّةِ تُعْرَف لِعُلُوها بـ "تسنيم"، عَينٌ أُعِدَّتْ؛ لِيَشرَبَ مِنهَا المُقَرَّبُونَ، وَيَتَلَذَّذُوا بِهَا"[١].

أما الآيات التي فيها ذكر الدنيا نجد العكس، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١].

فسارعوا وسابقوا وتنافسوا واستبقوا كما أمركم ربكم، الدنيا مضمار، الدنيا مضمار تنافس، وميدان تسابق، الدنيا عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، وهذه حقيقة لابد أن يتفطن لها الناس قبل فوات الأوان، أو قبل أن يعض الظالم على يديه ويقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

التأنِّي مطلوب في كلِّ شيءٍ إلاَّ في عَمَل الآخرة؛ لماذا؟ لأنَّ عملَ الآخرةِ مطلوبٌ فيه المسارعةُ والمبادرةُ والمسابقةُ، كما جاءَ في القرآنِ الكريمِ والسُّنَّة النَّبويَّة، هناك الكثيرين من يُحِبُّون عملَ الخيرِ، وأفعالَ البرِّ، ولكنَّهم مُبتَلَون بالتسويفِ، وتأجيلِ الأعمال ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف لعاقل يسمع تلك الآيات العظيمات التي يأمر الرب عباده بالمسارعة في الخيرات والصالحات ولا يسارع إليها؟

أحبتي في الله: ما أحوجنا وخاصة في هذا الزمان إلى التسابق على فعل الخيرات والازدياد منها، فميادين الأعمال الصالحة كثيرة، ومتنوعة أيضاً، والواحد منا يستطيع أن يعمل الكثير والكثير، ولكن ما ينقصنا هو الهمة والحرص والعمل والمبادرة إلى عمل هذه الصالحات، اليوم يستطيع المرء منا أن يسابق في فعل الخيرات في أعمال كثيرة وفي مقدوره والتي لا تتطلب منا إلا الهمة فقط، فإذا شحذنا همتنا وتوفرت عندنا العزيمة والإرادة فإننا سنسعى إلى المسابقة في أعمال صالحة كثيرة بإذن الله، ونستطيع أن نقوم بها بسهولة ويسر، فمن كان هذا حاله ليس كمن ترك فعل الخيرات، وقارف المنكرات ولا شك، يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

---

(١) التفسير الميسر (ص٥٨٨).

يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لما بين تعالي الفرقة الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له"[١].

يقول الله الحكم العدل: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١].

لا يستوي أهل الاستقامة بأهل المعاصي، لا يستوي أهل الخير بأهل الشر، لا يستوي الأبرار بالفجار، فليس من قضت أوقاتها وعمرها في طاعة الله كمن عمرها في معاصيه، لا يستوون.

فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق في هذه الحياة لغايةٍ محددة، ومقصودٍ معيَّن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فمن الناس من هو منشغلٌ في هذه الحياة بما خلقه الله لأجله، ومنهم من شغله في هذه الحياة ما خُلق لأجله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق هذه الدنيا بما فيها وسخرها لابن آدم لا لينشغل بها عن الله وعما خلَقه الله لأجله، وإنما خلقه لتكون معونةً له على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا تغره الدنيا وفتنها وملهياتها، ولا بأس أن يأخذ الإنسان نصيبه منها لكن بشرط أن لا يضيع آخرته، ولهذا جاء في الدعاء المأثور عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا**»[٢].

---

(١) تفسير السعدي (صـ١٤٣).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢٦٨).

يقول الشاعر:

لاَ تَــرْكَنَنَّ إِلَى الــدُّنْيَا وَمَــا فِيهَــا   فَــالْمَوْتُ لاَ شَــكَّ يُفْنِينَــا وَيُفْنِيهَــا

وَاعْمَـلْ لِـدَارٍ غَـدًا رِضْـوَانُ خَازِنُهَـا   وَالجَــارُ أَحْمَــدُ وَالــرَّحْمَنُ نَاشِــيهَا

قُصُــورُهَا ذَهَــبٌ وَالمِسْــكُ طِينَتُهَــا   وَالزَّعْفَــرَانُ حَشِــيشٌ نَابِــتٌ فِيهَــا

أَنْهَارُهَــا لَــبَنٌ مُصْــفَى وَمِــنْ عَسَــلٍ   وَالخَمْــرُ تَجْــرِي رَحِيقًــا فِي مَجَارِيهَــا

وَالطَّيْــرُ تَجْرِي عَلَـى الْأَغْصَـانِ عَاكِفَـةً   تُســــبِّحُ اللهَ جَهْــــرًا فِي مَغَانِيهَــــا

مَـنْ يَشْـتَرِي الـدَّارَ فِي الفِرْدَوْسِ يَعْمُرُهَا   بِرَكْعَــــةٍ فِي ظَــــلاَمِ اللَّيْــــلِ يُحْيِيهَــــا

المسارعة إلى الخير في الخير وصية ربانية، وسنة محمدية، فكونوا من السابقين، قال وهيب بن الورد: "**إِنْ استَطَعْتَ أَنْ لَا يَسْبِقُكَ إِلَى اللهِ أَحَدٌ فَافْعَلْ**"(١).

ورحم الله الحسن البصري يوم قال: "**إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُنَافِسُكَ فِي الدُّنيَا فَنَافِسْهُ فِي الآخِرَةِ**"(٢).

ولكن الحقيقة المؤلمة أن مشكلتنا هي قلة المنافسة، والتثاقل، والعجز، والكسل والانشغال بالدنيا والتسويف، إن التسويف من أكبر حيل إبليس، الشيطان يحرص على تفويت الخير على الإنسان، ويحاول أن يصرفه عن فعل الخير بالكلية بشتى الطرق، وإن لم يستطع منع ابن ادم من الخير بالكلية فإنه يكسله عنه ويشغله عنه حتى يفوّت عليه الأجر الكامل والثواب الأعظم.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص٢٤٤).

(٢) المصدر السابق.

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نِعمَتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصَّحَّةُ والفَّراغُ**»[1]، لهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحة والفراغ بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ بقدر ما يستطيع.

فأنادي بأعلى صوت؛ يا أيُّها المسوِّفون، أو يا أيها الغافلون، أو يا من يقضون الساعات الطوال على الجوالات وأمام الشاشات؛ ويا من يدمنون الأفلام والمسلسلات، أو يا من يسهرون الليل على الملهيات وينامون النهار عن الطاعات؛ **استبقوا الخيراتِ**، فإنَّ الإنسانَ لا يَدري ماذا يَعرِضُ له، نعم؛ الإنسانُ لا يَدري ماذا يَعرِضُ له.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[2].

يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ**»: أي انتهزوا الفُرص قبل أن تفوتكم، واحذروا الفِتَنَ قبل أن تشغلكم وتصرفكم عن هذه الأَعمال، نسأل الله الثبات حتى الممات.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: "**مَعْنَى الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ وَوَصَفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُهُ شَكَّ الرَّاوِي وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ**"[3].

الفتن الآن منتشرة، محيطة بنا، في بيوتنا في الشوارع في كل مكان والله المستعان، افتتن الكثير من الناس بالدنيا فانشغلوا بها عن الآخرة، بالأمس ندعو النساء إلى غطاء الوجه واليوم أصبحنا ندعوهم إلى لبس العباءة، بالأمس ندعوهم إلى الخشوع في الصلاة واليوم ندعوهم إلى عدم ترك الصلاة، بالأمس ندعوهم إلى خطورة الزنا واليوم ندعوهم إلى خطورة اللواط والمثلية، بالأمس نحذرهم من التدخين وأصبحنا نحذرهم من المخدرات، ويخلق الله ما لا تعلمون.

أحبتي في الله؛ بادروا ولا تسوفوا فإن الغنائم متواجدة الآن، والثمن موجود والعمل مقدور عليه، وسيأتي يوم على تلك الغنائم لا يقدر عليها الإنسان، إذا حيل بينه وبينها ملك الموت، وكل نفس

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٣٣).

ذائقة الموت، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر. ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ أي: أخرج، ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي. وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ "**[١].

إن الجنة مطمع الجميع، هي سلعة الله الغالية والتي لن يدخلها أحد إلا برحمة أرحم الراحمين، بينما درجات الجنة بحسب أعمال الإنسان، يتفاوت الناس بالدرجات العلا بحسب أعمالهم في الدنيا، ويعطي الله الكثير على العمل اليسر تكرماً منه وفضلاً، يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**[٢].

ويقول عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**[٣].

(إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) عمل مقدور عليه ويسير ومع ذلك رتب عليه الشارع الأجر الكبير، يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»**[٤]، **«لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ**

---

(١) تفسير السعدي (صـ١٥٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٢٦).

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٨٩).

فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»[(١)]، فكيف بمن يزيل عن الناس الجهل؟ كيف بمن يزيل الشرك والبدع؟ فإنها والله من أعظم الأذى.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[(٢)]، فما بالكم إذا كان أكثر من شق تمرة؟

فينبغي للإنسان أن يجعل بينه وبين النار حاجزًا من عمل صالح، والصالحات كثيرة ومتنوعة، إن شق عليكم عبادة لم تشق الأخرى.

ومن الأعمال الصالحة:

- يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**»[(٣)]، نور! هل يقصد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نور في الوجه؟ أم نور في القلب؟ أم نور في الروح؟ أم نور في القبر؟ أم نور يوم على الصراط؟

أعظم الصلوات الفرائض ثم النوافل، والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، فينبغي أن يستشعر المصلي إذا أراد أن يقف بين يدي الله لأداء الفرائض أنه قائم بركن من أعظم أركان الإسلام، ومن استحضر ذلك فإنه سيقيم الصلاة على أكمل وجه ولا شك.

- قراءة القرآن وحفظ القرآن الكريم وتدبره، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: {الم} حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[(٤)].

الحرف بحسنة والحسنة بعشرة أمثالها، فكم من الحسنات التي يجنيها من يقرأ الجزء أو الجزأين يومياً؟

- **الصدقة**: «**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»[(٥)] برهان على حب الله، لأن الناس مجبولون على حب المال، فهو ينفق المال لأجل الله.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩١٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

(٤) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٤٦٩).

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣).

- **عيادة المريض**: من أبرز الأعمال الصالحة وأهمها أن يعود المسلم أخاه المسلم في مرضه، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما من امرئٍ مسلمٍ يعودُ مسلمًا إلا ابتعث اللهُ سبعين ألفَ ملَكٍ، يُصلُّون عليه في أيِّ ساعاتِ النهارِ كان، حتى يمسيَ، و أيِّ ساعاتِ الليلِ كان، حتى يُصبحَ**»[1].

- **ذكر الله تعالى**: يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ألَا أُنبِّئُكم بخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَليكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكم؟**»، قالوا : بَلَى، قال : «**ذِكْرُ اللهِ**»[2].

- **الدعوة إلى الله**: فمن منا لا يستطيع أن يدعو وينصح الآخرين بلسانه، أو بقلمه، أو بوسيلة أخرى يقدر عليها؟ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت:٣٣].

والدعوة إلى الله تعالى من أسباب نيل الأجور العظيمة: لقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

والدعاة إلى الله هم الرابحون يوم يخسر الناس كما أخبر الله: قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر الوسائل الحديثة كالإنترنت، ورسائل الجوال، وغيرها من الوسائل في مقدور الجميع، لكن أين الجميع؟!

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»[3].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٩٥٨)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن برقم (٧١٠).
(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٩).
(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٠٧٠).

وتركه سبب في حلول عذاب الله وغضبه، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

تهاون الكثير من الناس في هذه الشعيرة، تركها البعض بزعمهم أنها اقتحام للحرية الشخصية، وتركها آخرون خوفاً من سماع كلمة أو كلمتين تكدر خاطره أو تزعجه، وتركها أيضاً البعض بحجة أن الناس أصبحوا لا يتقبلون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات، ومن أهم الفرائض، ومن أسباب صلاح المجتمع، فالناس بخير ما تآمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا ضيَّعوا هذا الواجب فشت فيهم المنكرات، وظهرت فيهم الشرور، وحلت بهم العقوبات، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب العافية والسلامة من العقوبات العامة، وتقدَّم قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، فقالت له زينب: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»، وتقدم ما يروى عنه أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ قال: «لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهونَّ عن المنكرِ ولتأخذنَّ على يدي لظَّالِمِ ولتَأطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا أو لتَقصُرُنَّهُ على الحقِّ قصرًا أو ليضربنَّ اللَّهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ ثمَّ ليلعننَّكم كما لعنَهم». فالواجب على المؤمنين جميعًا: التآمر بالمعروف، والتناهي عن المنكر، والحذر من الإعراض عن ذلك، والتساهل في ذلك، فإن خطره عظيم"**[١].

- **طلب العلم:** جعله الله طريقاً للجنة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»**[٢]. وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما في الحديث، ويتأكد في هذا الزمن الذي فشى فيه الجهل وعم وطم، انتشرت الفتن والبدع بسبب البعد عن طلب العلم، العلم نور والجهل ظلام، ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يضعوا طلب العلم من أولى

(١) موقع الشيخ رحمه الله، https://2u.pw/QGFqu

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٩).

أولوياتهم، لا يمضي يوم من أيامهم إلى وفيه طلب العلم، فوالله أن اليوم الذي يمضي في حياة الإنسان بلا علم فهو خسارة، ولذلك كان يدعو به نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كلِّ يَومٍ مِنْ أيَّامِهِ بَعدَ صَلاةِ الصُّبحِ بَعدَ أنْ يُسَلِّم؛ فعن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان يقولُ بعدَ صلاةِ الصُّبح بعدَ أنْ يُسلِّم: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»[١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ عن من انصرف عن طلب العلم: "**فيا أيها المعرضون عن طلب العلم! ما هو عُذركم عند الله، وأنتم في العافية تتمتعون!؟ وماذا يمنعكم منه وأنتم في أرزاق ربكم ترتعون!؟ أترضون لأنفسكم أن تكونوا كالبهائم السائمة!؟ أتختارون الهوى على الهدى والقلوب منكم ساهية هائمة!؟ أتسلكون طرق الجهل وهي الطرق الواهية، وتَدَعُون سُبُل الهدى وهي السُّبُل الواضحة النافعة!؟ أترضى إذا قيل لك: مَن رَبُّكَ وما دينك ومَن نبيك لم تحر الجواب!؟ وإذا قيل: كيف تصلي وتتعبد أجبت بغير الصواب!؟ وكيف تبيع وتشتري وتعامل وأنت لم تعرف الحلال من الحرام!؟ أمَا والله إنها حالةٌ لا يرضاها إلا أشباه الأنعام. فكونوا -رحمكم الله- متعلمين، فإن لم تفعلوا فاحضروا مجالس العلم مستمعين ومستفيدين، واسألوا أهل العلم مسترشدين متبصرين، فإن لم تفعلوا وأعرضتم عن العلم بالكلية فقد هلكتم وكنتم من الخاسرين. أما علمتم: أنَّ الاشتغال بالعلم مِن أَجَّلِ العبادات، وأفضل الطاعات والقربات، ومُوجِبٌ لِرضَى رَب الأرض والسماوات. ومجلس علم تَجلِسُهُ خيرٌ لك مِن الدنيا وما فيها، وفائدة تستفيدها وتنتفع بها لا شيء يزنها ويساويها!؟ فاتقوا الله عباد الله، واشتغلوا بما خلقتم له من معرفة الله وعبادته. وسَلُوا ربكم أن يُمدكم بتوفيقه ولطفه وإعانته،** ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ "[٢].

- ومن الأعمال الصالحة الدعاء، بر الوالدين، قيام الليل، الصيام، الإحسان للجار، إطعام الطعام، صلة الأرحام، تفريج الكربات،،،، وغيرها من الأعمال.

وينبغي التفطن والعناية بالعبادات القلبية؛ لأنها أساس كل عبادات الجوارح، أعمال الجوارح تابعة للقلب، هي الأصل، أساس قبول الأعمال، وإذا استقام القلبُ استقام حالُ الإنسانِ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٩٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٢) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية (صـ١٧٩).

وصلَحت أعمالُه، قال ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والدِّينُ القائمُ بالقلبِ مِن الإيمانِ عِلمًا وحالًا، هو الأصلُ، والأعمالُ الظَّاهرةُ هي الفروعُ، وهي كمالُ الإيمان"**[1].

وأعمال القلوبِ وأعمال الجوارح متلازمان لا ينفكان، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الظَّاهِرُ والباطِنُ متلازمان، لا يكونُ الظَّاهِرُ مستقيمًا إلَّا مع استقامةِ الباطن، وإذا استقام الباطِنُ فلا بدَّ أن يستقيمَ الظَّاهِرُ؛ ولهذا قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «ألا إنَّ في الجسَدِ مُضغةً إذا صلَحت صلَحَ لها سائِرُ الجسَدِ، وإذا فسَدَت فسدَ لها سائرُ الجسَدِ، ألا وهي القَلبُ»"**[2].

مثل: الإخلاص، المحبة في الله، والبغض في الله، والتوكل على الله، والخوف من الله، والرجاء، والخشية، والإنابة، وحسن الظن، واليقين فيما عند الله، والخضوع، والتواضع، والتضرع، وغيرها الكثير.

ومن الأعمال القلبية السيئة: الأمن من مكر الله، والغل، والحقد، والحسد، والكبر، وسوء الظن في الله، وغيرها.

قد يهتم كثير من الناس بأعمال الجوارح ويغفلوا عن أعمال القلوب، مع أنَّ ذلك من جملة الإيمان، بل إنَّ ذلك من أوَّل ما يَدخل في الإيمان، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ولا بدَّ أن يَدخل في قوله: اعتِقاد القلب أعمالُ القلب المقارنة لتصديقِه؛ مثل حبِّ الله، وخشية الله، والتوكُّلِ على الله ونحو ذلك، فإنَّ دخول أعمال القلْب في الإيمان أوْلى من دخول أعمال الجوارح باتِّفاق الطَّوائف كلها"**[3].

الأعمال كثيرة، وأبواب الخير مفتوحة أمامكم الآن، وهذا الميدان يا حميدان كما يقال في المثل الشعبي. فاتقوا الله أحبتي في الله، وبادروا في اغتنام حياتكم قبل فنائها، وأعماركم قبل انقضائها، بفعل الخيرات والاكثار من الطاعات، ولن يتقرب المرء بمثل ما يتقرب إلى ربه بالفرائض، الفَرائِض أحَبُّ إلى اللهِ وأوكَد ولا شك، ثم بعدها تأتي النوافل والتي هي سبب في نيل محبة الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٥٥).

(٢) المصدر السابق (١٨/٢٧٢).

(٣) المصدر السابق (٧/٥٠٦).

حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[1].

الناس يتفاضلون في أعمالهم وفي ايمانهم، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولهذا كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الناس بعد الأنبياء؛ لأنه كان أعظم الناس تصديقاً. فبالتفاضل بالأعمال وبالتصديق يتفاضل الناس، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»[2]، ومن الناس من يمرون على الصراط كلمح البصر أو كالبرق، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخير، ومنهم من له شمعة على ظفر إبهام قدمه اليمنى تضيء تارة فيتقدم وتطفئ تارة فيقف، كل ذلك التفاضل فيما بينهم بحسب تفاضلهم في أعمالهم في الدنيا.

ويتفاضلون في أهوال يوم القيامة عظيمة، عن الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» -قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ- قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[3].

أخبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ العرَقَ سيَغمُرُ النَّاسَ ويَكونُ على قَدرِ أَعمالِهم في كَثرةِ العَرَقِ وقِلَّتِه؛ فالأعمال الصالحة تخفف على المؤمن يوم القيامة وتنجيه منها.

يتفاوت الناس في الدنيا في أعمالهم، فلذلك يتفاوتون في منازلهم في الجنة، يقول الرب سبحانه وتعالى جل وتعاظم وتقدس: ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ **فِي الدُّنْيَا، فَمِنْهُمُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَمَنْ يَمُوتُ صَغِيرًا، وَمَنْ يُعَمَّرُ حَتَّى يَبْقَى شَيْخًا كَبِيرًا،**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٣١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٤).

وَبَيْنَ ذَلِكَ ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ **أَيْ: وَلَتَفَاوُتُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ مِنَ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِي الدَّرَكَاتِ فِي جَهَنَّمَ وَسَلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَنَعِيمِهَا وَسُرُورِهَا، ثُمَّ أَهْلُ الدَّرَكَاتِ يَتَفَاوَتُونَ فِيمَا هُمْ فِيهِ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ يَتَفَاوَتُونَ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: "إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَوْنَ أَهْلَ عِلِّيِّينَ، كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الْغَابِرَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ"؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ "[(١)].

فالآخرة أعظم واكبر، ولا وجهَ للمقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، فإذا سلَّمنا بأن الآخرة أفضل وأعظم، فما علينا إلاَّ أنْ نبادر ونسارع في الخيرات؛ لننال رضا رب الأرض والسموات، نسأل الله أن يجعلنا من السابقين الأولين، ونسأل الله الدرجات العلا من الجنة.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٦٣).

الخاتمة:

المؤمن الحق كيس فطن، ذكي زكي يحرص على فعل الخير، ويسارع إليه ويفعله على أحسن الوجوه، والمسارِع في الخيرات في الدنيا هو السابِق في الآخِرة إلى الجنَّات؛ المسارعون في الخيرات أخبر الله أنهم هم السابِقون إلى الجنَّات؛ كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ*فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ*ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ*وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ*عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ*مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ*يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ*لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ*وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ*وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ*وَحُورٌ عِينٌ*كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ*جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا*إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة:١٠-٢٦]، السابقون إلى الخيرات هم أقرَبُ الناس إلى الله، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ*فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

فسارعوا إلى الجنة، وسابقوا عليها، وتنافسوا لأجلها، فإنها والله التجارة الرابحة، الدنيا مزرعة الآخرة، واليوم عمل وغداً الحصاد.

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ"**(١).

اللهم ارزقنا الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، ونسأله سبحانه أن يجعلنا من السابقين للخيرات لننال أعلى الدرجات، وأن يجعلنا من أصحاب الهمم العالية؛ لننال بها سلعة الله الغالية.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقاً، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.